

هدنة مع الانترنت في السودان

بقلم: خالد حامد

كان يسير في غابة غناء غابة فيها كل الزهور والأشجار المثمرة وتغرد الطيور حوله وكأن روحه ترفرف معها وأمامه بحيرة زرقاء تزهو بكل أنواع الاحياء البحرية، وفجأة انقلب كل شيء رأساً على عقب ووجد امامه الدنيا مظلمة ووجد نفسه في مكان لا يعرف ما هو أمامه ولا وراءه ولا عن يمينه ولا شماله!!

هذا ما حدث لبعض الشباب حسن قطعت خدمة الانترنت بالكلية عن شرائح SIM!! في السودان لاغراض أمنية كما صرح بذلك المتحدث الرسمي للمجلس العسكري،فقد كانت شبكة الإنترنت المتنفس الوحيد لهم والهدف الأسمى والأفضل لهم فلا يجدون راحتهم وأنسهم مع أصدقائهم إلا عبر الإنترنت. وهذه الشبكة العنكبوتية لم تكن يوماً من الايام هدفا ولم تصنع لتكون هدفا لتضييع الأوقات ونشر الاخبار دون التثبت من حقيقتها واذية الآخرين وابتزازهم ونشر فضائحهم!! والسخرية والتنمر منهم ، إنما جعلت وصنعت لأغراض بحثية وعسكرية في أول الأمر عند الجيش الأمريكي ثم بعد ذلك توسعت وانتشرت. وقد برز في ذهني سؤالاً ما كنت أظن أن أسئله لنفسي أو لاحد من اصدقائي إلا حين قطع الانترنت وانتهت السكرة وبقيت الفكرة! والسؤال هو :منذ دخولنا لهذه الشبكة منذ التسعينات إلى يومنا هذا ماذا حققنا من أهداف كمسلمين؟ سواء على المستوى الجماعي ككل أو الأفراد هل استفدنا من الانترنت بشكل مميز؟ هل نشرنا ديننا ومعتقداتنا الإسلامية؟ هل استفدنا وتعلمنا عدد من الاختراعات المفيدة للأمة الإسلامية؟ هل قدمنا المنح المجانية استفدنا وتعلمنا في الجامعات العالمية؟ هل أسسنا مؤسسات ورؤية تهدف الى نشر الثقافة الإسلامية وتعريف العالم بها؟ ما هي بصمتك في شبكة الإنترنت؟

هذه الأسئلة كادت أن تفنك بمجامع قلبي ورأسي لماذا لا نستفيد الفائدة القصوى من هذه الشبكة؟ لماذا دائما نتعامل مع هذه الشبكات بـ غوغائية وعشوائية ودردشات لا تنتهي. التي أظن لو كانت درشة علمية بحثية مفيدة لكان لها ما بعدها من النتائج المفيدة والجديدة!

إذا قطع شبكة الإنترنت في السودان والذي أسمى هذه القطع القسري لهو هدنة مع أنفسنا ومع غيرنا ومع من حولنا من أهل وأحباب! لطالما أثرت شبكات التواصل الاجتماعي في علاقتنا مع مجتمعنا وجعلتها علاقات لا لون لها ولا طعم (مسيخة) فكان التواصل برسالة بينك وبين صديقك وقريبك... رسالة لا تحتوي على المشاعر التي تكون حين اللقاء وسماع الصوت.. رسالة ليس فيها إلا كلام مكرر عبر (copy & paste & share) خالية من كل أنواع المحبة التي نكنها لاحبابنا و أهالينا!..وقد اشتكى كبار السن من اهالينا بأننا لا نكن لهم أي نوع من الاحترام والتقدير حين يتحدثون معنا ونحن كشباب نقول فقط (ممم) ورؤوسنا منكسة إلى شاشات أجهزةتنا وهم يتحدثون!!

شخصياً لا أريد أن أشكر من قطع خدمة الإنترنت؛ ولكن أشكره لأنه قد فرغت عقولنا وحياتنا للتفكير في أشياء مفيدة. عديدة جلبها لنا قطع خدمة الإنترنت! مثل قراءة الكتب زيارة عائلية مفيدة.... الخ إذا لا تحسبوه شر لكم بل هو خير لكم، خير حين نجلس مع أنفسنا ونراجع أعمالنا كيف نستفيد من هذه الشبكات حين تعود لا محالة - واطنه قريبا- كيف نحقق أهدافنا عبرها؟ كيف نجعلها وسيلة لا غاية؟ كيف نتميز عن غيرنا عبرها كيف يكون لنا هدنة مع أنفسنا بين الحين والأخرى ولا نجعل هذه الأجهزة حائلا لجلوس مع أنفسنا والاستماع إليها (فإنَّ لِحَسْبِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَلِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا) كما أخبر الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم .. وإني منذ قطع شبكة الإنترنت بالرغم من الأضرار التي لحقت بي إلا أنني أنام مرتاح قرير العين لا أفكر في شيء من قبيل من: ارسل لي ومن علق على كلامي ومن تحدث معي وهكذا من الهواجس الوهمية التي اشغلت عقولنا بشكل لا يطاق وارهقتنا ولا نستطيع أن نوقف عقولنا عن التفكير بغير ذلك من الوسواس والقلق والنظر المتكرر لشاشة الهاتف دليل على عدم احترام الآخر، كما يؤكد أنك غير مهتم بمحاورك... مما أثر على أعمالنا وواجباتنا الاجتماعية بشكل مباشر أو غير مباشر .

بل شكلت وسائل التواصل الاجتماعي العنصر الأكبر في انشغالنا عن حياتنا وزادات معدلات التوتر كما أكدت دراسة أجريت في عام 2015 فقد سعى باحثون بمركز "بيو" للدراسات، ومقره واشنطن دي سي بالولايات المتحدة، إلى معرفة ما إذا كانت مواقع التواصل الاجتماعي تزيد من حدة التوتر لدى المستخدمين، أكثر مما تخففها.

وفي استطلاع أجراه المركز، وضم 1,800 شخص، عبرت النساء عن أنهن يشعرن بالتوتر وضغوط أكثر من الرجال، عند استخدام مواقع التواصل الاجتماعي. وتوصل الباحثون أيضا إلى أن موقع تويتر يعد مساهما قويا في هذا الشعور، لأنه يزيد من وعي المستخدمين بالتوتر الذي يتعرض له أشخاص آخرون غيرهم.

وقد توصلت دراسة أخرى نشرت في دورية "الكمبيوتر والسلوك البشري"، إلى أن الأشخاص الذين يقولون إنهم يستخدمون سبعة أو أكثر من منصات التواصل الاجتماعي، يكونون أكثر عرضة لمستويات مرتفعة من القلق بنسبة تزيد على ثلاثة أضعاف، مقارنة بالأشخاص الذين يستخدمون منصة أو اثنتين من منصات التواصل الاجتماعي، أو الذين لا يستخدمونها مطلقا.

وإذا تفحصت في أكثر عشر كلمات بحثا في العالم العربي عموما وفي السودان خصوصا نجد أن الامر يبدو غريبا ويدل على مدى اهتمام شبابنا السطحي ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فقد جاء في التقارير التي صدرت مؤخرا لعام 2018 عن مؤسسة "هوتسويت" التي استندت في وضع القوائم على خدمة "غوغل تراند" المتخصصة في رصد حركة البحث على الإنترنت في العالم كله. وإذا تفحصنا أكثر الكلمات بحثا في السودان نجد الآتي :

تصدرت كلمة صور قائمة بحث السودانين، تلتها كلمة فيس أي فيسبوك ثم تحميل ثم السودان وأفلام فكلمة أغاني ثم فيسبوك ثم أخبار، ثم فيسبوك باللغة الإنجليزية ثم كلمة كورة.

وللأسف يعاني شبابنا من عدم وضوح الأهداف عندهم إذا ما نظرنا إلى التقارير السابقة فدخولنا للانترنت لا يعدو ترفيها آخر يضاف إلى أنواع الترفيه التقليدي الذي يحبه الشباب.

ولا أجد أفضل من تلك النصيحة النبوية التي اعتبرها تختصر كل محاضرات التنمية البشرية انظروا وتمعنوا في هذا القول الجامع: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلِّ خيرٍ، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدَّر الله وما شاء فعل، فإنَّ لو تفتح عمل الشيطان))¹

قال النووي: (والمراد بالقوة هنا، عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقدامًا على العدو في الجهاد، وأسرع خروجًا إليه، وذهابًا في طلبه، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله تعالى، وأرغب في الصلاة، والصوم، والأذكار، وسائر العبادات، وأنشط طلبًا لها، ومحافظةً عليها، ونحو ذلك)²

إذا بناء على ذلك نختم بهذه النصائح نسأل الله تعالى أن ينفع بها

-ضع لك برنامج يومي وليكن هذا السؤال حاضرا ما هو هدفي من دخول الانترنت.
-قل من وسائل التواصل الاجتماعي وان استطعت ان تحذفها بالكلية فهذا افضل ، او تقلل من دخولك للروبوتات المختلفة وهكذا.
-اعلم انه سبحانه يراقبك في السر والعلن وفي كل أحوالك فلا تفعل امرا تخجل منه أمام الله حين الوقوف بين يديه.

-حدد وقت معين لدخول للانترنت لا تتجاوزه ولا تزيد عليه، فمثلا إذا كنت في مكان وتنتظر شيء معين فلماذا لا نملاً هذا الفراغ بالذكر أو قراءة القرآن او كتاب مفيد .

-استخدم مع نفسك قاعدة الترغيب والترهيب فإذا قلت من دخول وسائل التواصل الاجتماعي فكافئها ، وإذا حدث العكس عاقبها عقابا يسيرا مفيدا في نفس الوقت.

¹ رواه مسلم حديث رقم 2664

² شرح النووي على صحيح مسلم 4/2052

-عدم تضيع الوقت فيما لا فائدة فيه فالعمر محدود والأجل قريب يقول النبي صلى الله عليه و سلم: ((نعمتان مغبون فيها كثير من الناس الصحة والفراغ)).

-الاستعانة بالله سبحانه وتعالى في كل الأمور (واستعن بالله ولا تعجز.....الحديث)

-إذا لم تستطع ترك إدمان الإنترنت وشبكات التواصل ؛ فلا تيأس ولا تعجز واستعن بالله وحاول مرة أخرى ويكفيك شرف المحاولة وانك عازم على الاقلاع عن ذلك الأمر.